الفلسفة ثانية باك

مفهوم الواجب (المحور الثالث : الواجب والمجتمع)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : إميل دوركهايم
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : هنري برغسون
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : جون راولس
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب
VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

I- الإشكالية

إذا كان الواجب يتضمن نوعا من الإكراه والإلزام، فإن هذا الإكراه والإلزام قد لا يكون باطنيا وفرديا، بحيث يرتبط فقط بالقهر الذي يمارسه القانون الأخلاقي على الفرد، بل قد يكون أيضا خارجيا واجتماعيا، بحيث يرتبط بالقهر الذي يمارسه المجتمع بمختلف مكوناته (المؤسسات، العادات، التقاليد، والأعراف...) على الأفراد المكونين له.

وهذا يعني أن الواجب، بوصفه إكراها اجتماعيا، قد يشكل تجاوزا لإرادة الأفراد، وفي نفس الوقت يوجه سلوكاتهم ويؤطر وجودهم، من هنا تطرح إشكالية علاقة الواجب بالمجتمع.

- ما هي علاقة الواجب بالمجتمع ؟
- وما هي حدود الواجب ؟
- هل ينطوي الواجب على أبعاد خصوصية محلية اجتماعية ونسبية، أم على خواص كونية انسانية شمولية ومطلقة ؟
- هل الانسان ملتزم بواجبات تجاه مجتمعه فقط، أم بواجبات تجاه الإنسانية جمعاء ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : إميل دوركهايم

2-1/ النص الفلسفي

سلطة المجتمع

في كل مرة نَتَدبَّر فيها لنعلم كيف يجب علينا أن نسلك، نجد صوتا يتكلم فينا ويُهيب بنا قائلا: هذا هو واجبك. وعندما نتخاذل عن أداء ذلك الواجب الذي بُيِّنَ لنا على هذا النحو، يعلو ذلك الصوت ذاتُه محتجا على فعلنا. ولما كان ذلك الصوت يتكلم بلهجة الآمر، فإننا نحس دائما بأنه لابد صادر عن كائن يعلو علينا. غير أننا لا نَتَبَيَّنُ بوضوح من هو أو ماهو ذلك الكائن.

ولهذا لجأ خيال الشعوب –من أجل تفسير ذلك الصوت الخفي الذي تختلف لهجته عن لهجة الصوت الإنساني– لجأ ذلك الخيال إلى أن يَعْزُوهُ إلى كائنات علوية تسمو على الإنسان (...) وعلينا نحن أن نزيل عن هذه النظرة ما علق بها خلال التاريخ من صور أسطورية 1 ، وأن نصل إلى الحقيقة من وراء الرمز. أما تلك الحقيقة، فهي المجتمع الذي بث فينا، حين عمل على تكويننا خُلُقِيّاً، تلك المشاعر التي تملي علينا سلوكنا بلهجة آمرة صارمة، أو تثور علينا بمثل هذه القوة عندما نأبى أن نمتثل لأوامرها. فضميرنا الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع ولا يعبر إلا عنه، وإذا تكلم ضميرنا، فإنما يردد صوت المجتمع فينا. ولاشك في أن اللهجة التي يتكلم بها خير دليل على السلطة الهائلة التي يتمتع بها.

إميل دوركايم، **التربية الأخلاقية**، ترجمة محمد بدوي، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ، ص: 87–88.

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه دوركهايم.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن دوركهايم يجيب عنه.

2- أبني أطروحة دوركهايم من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب دوركهايم عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة دوركهايم وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

3-2/ التصور الفلسفي

يعتبر الواجب الأخلاقي في نظر دوركهايم تجسيدا لسلطة المجتمع، إنه مصدرجميع القيم الأخلاقية وعلى رأسها الواجب، إذ يعمل المجتمع على ترسيخها في الأفراد عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية التي تعمل على تشكيل ما يسمى بالضمير الجمعي كمحدد لكل قيم المجتمع وفضائله. فالفرد غالبا ما يخضع لسلطة عليا قاهرة له وخارجة عن إرادته، إنه المجتمع كمصدر للواجبات الأخلاقية.

فالواجب الأخلاقي إذن جمعي اجتماعي لأنه يفرض نفسه بشكل عام على جميع أفراد المجتمع، فهو سلطة إكراهية متعالية عن الضمائر الفردية وهي سلطة الضمير الجمعي كسلطة تختلف باختلاف الزمان والمكان وسائر الظروف المتغيرة، مما يعني أن الواجب حسب دوركهايم ينطوي على أبعاد خصوصية محلية اجتماعية نسبية ترتبط بكل مجتمع على حدى، ويقول في هذا الصدد: «الضمير الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع ولا يعبر إلا عنه».

III- الموقف الفلسفي 2 : هنري برغسون

3-1/ النص الفلسفي

الواجب الكوني

إن المجتمع هو الذي يرسم للفرد مناهج حياته اليومية. فالمرء في حياته مع أسرته، وفي مزاولته مهنته، وفي كل أمر من أمور حياته اليومية كشراء السلع والخروج إلى النزهة، بل والبقاء في البيت، لا يستطيع إلا أن يخضع لأوامره، وأن ينقاد إلى واجبات، وعلى المرء في كل لحظة أن يختار، فترانا نختار بصورة طبيعية ماهو موافق للقاعدة المرسومة، ولا نكاد نشعر بما نفعل، ولا نبذل في ذلك شيئا من الجهد. فالمجتمع قد رسم لنا الطريق، فما يسعنا، إذ نجده مفتوحا، إلا أن نتبعه ونسير فيه. ألا إن الهيَامَ في الحقول لأحوج من هذا إلى الجهد الشخصي. فالواجب بهذا المعنى، يتحقق تحققا آليا، حتى يمكن القول بأن الخضوع للواجب يكون في معظم الحالات بأن يُرخي الإنسان زِمام نفسه، ويستسلم لها (...) 1

فماهو المجتمع الذي كنا نعنيه؟ أكنا نعني ذلك المجتمع المفتوح الذي هو الإنسانية بكاملها؟2 ما قطعنا بشيء في هذا، كما أن الناس عادة لا يقطعون بشيء في الكلام عن واجبات الإنسان نحو الإنسان، إنهم يؤثرون الغموض في أَنَاة، ولا يجزمون بشيء، ولو كانوا كأنما يعتقدون أن المجتمع متحقق منذ الآن. وقد يكون من الخير أن يفسح المجال لمثل هذا الاعتقاد، لأن علينا، ولاشك، واجبات نحو الإنسان من حيث هو إنسان (...) ماهو المجتمع الذي نعنيه في الواقع حين نقول: إن ثمة مطلبا اجتماعيا يثوي وراء الواجب الأخلاقي، كاحترام حياة الآخرين، واحترام حقهم في الملك؟ ألا فاستعرضوا في أذهانكم ما يجري في أزمنة الحرب، أيام يغدو القتل والسلب والخيانة والغدر والكذب أمورا مباحة بل مُشَرَّفَة، وأيام يردد المتحاربون ما كانت ترده ساحرات (مكبث) : "الحمق هو العدل والعدل هو الحمق"3

هنري برغسون، **منبعا الأخلاق والدين**، ترجمة سامي الدروبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1984، ص: 46-56.

2-3/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه برغسون.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن برغسون يجيب عنه.

2- أبني أطروحة برغسون من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب برغسون عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

في مقابل التصور الدوركهايمي المتحدث باسم اجتماعية الواجبات، وفي إطار كونية الواجبات يدعو فيلسوف الطاقة الروحية هنري بيرغسون إلى ضرورة تجاوز الأخلاق المنغلقة التي يكرسها المجتمع، ويطالب بتوسيع مفهوم الواجب بالانفتاح على ما سماه بالواجب الأخلاقي الكوني الذي ينفتح على الكلي والشمولي نحو أفق يتمثل في الإيمان بالإنسان كمواطن في العالم (المواطنة العالمية)، حتى نضع بذلك أرضية خصبة للتعايش والسلام العالمي واحترام حياة وحقوق الآخرين، وبالتالي تجنب كل الصراعات والأزمات التي يعرفها العالم اليوم تحت مسميات صراع الحضارات واصطدام الثقافات.

IV- الموقف الفلسفي 3 : جون راولس

1-4/ النص الفلسفي

واجب التضامن مع الأجيال القادمة

جون راولس

يرى راولس أن من الضروري التفكير في إقامة نوع من العدالة بين الأجيال. وإذا لم يكن ذلك ممكنًا في الماضي فإنه مطروح اليوم. فالأجيال الحالية يُطرح عليها، وهي تستمتع بخيرات التقدم التكنولوجي، واجب التضامن مع الأجيال القادمة. وقد اعتمدت هذه الفكرة أساسًا كجيل كامل من حقوق الإنسان يدعى حقوق الطبيعة.

عن مجلة نيوزويك

«إنها لواقعة طبيعية أن تمتد الأجيال في الزمن ، وأن لا تسير الخيرات والفوائد الاقتصادية في نفس الاتجاه . إننا لا يمكن أن نعدِّلَ هذه الوضعية ، وبذلك فإن مسألة العدالة لا تطرح من وجهة النظر هاته . وعلى العكس من ذلك ، فإن ما هو عادل أو غير عادل ، هو الكيفية التي تستجيب بها المؤسسات للإكراهات الطبيعية ، وكيف تكون قادرة على الاستفادة من الإمكانات التاريخية . من البديهي أنه إذا كان على كل الأجيال أن تستفيد (ربما باستثناء الأجيال القديمة) ، فإن على الشركاء أن يتفقوا على مبدأ توفير يضمن لكل جيل أن يتلقى ما يستحق من سابقيه ، كما أن عليه أن يلبي بطريقة منصفة متطلبات لاحقيه [. .] . من أجل التوصل إلى تحقيق توفير عادل يتعين على الشركاء أن يتساءلوا عن الكمية التي يقبلون بتوفيرها في كل مرحلة من مراحل النمو ، مع القبول بأن كل الأجيال الأخرى قد وفرت أو ستوفر بناء على المعيار نفسه . . . من المحتمل أن يتم توفير مقادير مختلفة في فترات متباينة . وهكذا فعندما يكون الناس فقراء والتوفير عسيرًا فإنه يجب أن يكون فقدان التوفير أقل ، في حين يمكن أن ننتظر أن يكون فقدان التوفير أكبر لأن عبء التوفير أقل وطأة في مجتمع أكثر غنًى . وفي النهاية فإنه عندما تترسخ وتستقر المؤسسات العادلة المقامة على أساس صلب ، وعندما يتم إقرار الحريات الأساسية فعليًا ، فإن حجم التراكم سيستقر . حينئذ يكون المجتمع قد أدى ، واجبه في العدالة بضمان المؤسسات وأساسها المادي . والمبدأ العادل للتوفير يشير إلى ما يجب على مجتمع ما أن يوفره بطريقة عادلة .»

John Rawls, Théorie de justice, trad. fr. Seuil, Paris, 1986, p. 327-328. (ترجمة فريق التأليف)

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه راولس.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن راولس يجيب عنه.

2- أبني أطروحة راولس من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب راولس عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة دوركهايم وأطروحة برغسون.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

يذهب المفكر الأمريكي جون راولس في حديثه عن الواجبات الكونية إلى أن الواجب الأخلاقي ليس رهين مجتمع بعينه، وإنما هو منفتح على ما هو كوني إنساني، فواجبات الإنسان على الإنسان كثيرة وعلى رأسها واجب التضامن مع الأجيال القادمة كجوهر للعدالة المنصفة، حتى يصبح الواجب بذلك نمطا من التضامن يؤسسه الجيل السابق للجيل اللاحق بأن يوفر له كل إمكانيات العيش المريح.

وفي هذا الصدد يقول راولز : «على كل جيل أن يتلقى ما يستحق من سابقيه، كما أن عليه أن يلبي بطريقة منصفة متطلبات لاحقيه».

وبالتالي فكل جيل يحمل على عاتقه ضرورة تأمين مستقبل الأجيال القدمة، فالمحافظة على الطبيعة وثروتها حق إنساني مشترك يلزم تعاقدا حول مبدأ التوفير الطبيعي في إطار العدالة المنصفة التي تضمن استمرارية تدفق الحياة والثروات بين مختلف الأجيال.

V- تركيب

يتبين لنا من خلال ما سبق أن الواجبات الأخلاقية لا تنحصر في ما هو اجتماعي خصوصي محلي متعلق بخصوصية مجتمع ما (دوركهايم) أو موجه نحو ساكنة الأرض فقط (بيرغسون)، وإنما يتجاوز ذلك الى ما هو أبعد، إنها واجبات جيل تجاه جيل آخر، وهي مرهونة بتحقيق مبدأ التضامن والتعاون الإنسانيين، وبالتالي تأسيس عالم يحقق السعادة المشتركة للناس جميعا رغم اختلافاتهم الدينية واللغوية والعرقية.

VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

مادامت الحمولة الأخلاقية التي يحمل بها مفهوم الواجب دائما، والتي تبلوره في كونه أمرا أخلاقيا ملزما لكل الناس، فإن هذا الأمر الأخلاقي لا يكون كذلك إلا حينما يصدر أحيانا عن سلطة متولدة من إحساس داخلي بالواجب تجاه الذات والآخرين (التزام)، وأحيانا أخرى حينما يصدر عن سلطة المجتمع كإكراه خارجي (إلزام).

بيد أن هذا الأمر الأخلاقي يمثل في حين ثالثة قانونا عقليا وأخلاقيا، يتأتى للإنسان انطلاقا من الوعي الأخلاقي باعتباره مجالا للتجربة الفردية المتميزة بصراع الواجبات والمستوجبة لإرادة خيرة، حرة ومسؤولة تجاه الذات والمجتمع، تسمح للفرد في نهاية المطاف بالخروج من الضمير الأخلاقي إلى الانفتاح على القيم الكونية والواجبات الإنسانية، وذلك بغية إنهاء صدام الواجبات والمسؤوليات.